

الحلقة السادسة والخمسون

سفر الأمثال

برنامج أنوار كاشفة

أهلاً ومرحباً بك صديقي المستمع في هذا اللقاء الجديد من برنامج أنوار كاشفة. كنا بدأنا قبل فترة بدراسة سفر الأمثال للملك سليمان. وعلمنا أن هدف سفر الأمثال هو تقديم نصائح عملية على شكل أمثال تحمل حقائق أخلاقية، لكي تعلم الناس كيف يحيون حياة نقيّة وصادقة.

تأملنا في اللقاء السابق بعدة أمثال تحدثت أولاً عن أهمية حفظ اللسان ومراقبة الكلام. ثم عن صعوبة العيش مع المرأة المخاصمة. وأخيراً عن فشل حكمة الإنسان في مقاومة خطط الله ومشيتته. وتبين لنا أن حكمة الله الفائقة قد تجلّت في المسيح المخلص وعمله الكفاري.

هل تهتم مستمعي بسمعتك الحسنة؟ أم أنك لا تبالي بما يقوله الناس عنك؟ وهل تعلم مدى أهمية السمعة الحسنة على حاضرِك ومستقبلك؟ فكلما كانت سمعتك جيدة كلما وثق الناس بك، وفتحت أمامك الأبواب للعمل والمستقبل الزاهر. كتب سليمان الحكيم قائلاً: "الصيت أفضل من الغنى العظيم.." (أمثال ٢٢: ١) أي أن سمعة الإنسان الحسنة أفضل له من الغنى والمال الوفير. والسبب لأن السمعة الجيدة، هي رصيد معنوي كبير يوضع في حساب الشخص، ويؤدي إلى نجاحه في المجتمع وفي حياته العملية.

لنتأمل ماذا يكون وضع الإنسان عندما يحصل العكس، أي تكون سمعته فاسدة. فنجد أن الجميع سيحاولون تجنبه، ولن يجد رفاقاً أو زملاء حقيقيين له، ولن يحظى بالنجاح في حياته العملية. فماذا ينتفع المرء عندها؟ لهذا يصبح من المهم أن نحرص على سمعتنا الجيدة. وذلك بأن نلاحظ سلوكنا ونعرف كيف نتصرّف أمام الآخرين. إن الناس تراقب أفعالنا قبل كلامنا. وكلما كانت أفعالنا سليمة، نزيد من رصيد سمعتنا الحسنة. فهل تراك تتنبه صديقي لأفعالِك وتصرفاتِك أمام الآخرين؟

صديقي المستمع، هل هناك فرق أمام الله بين الغني والفقير؟ وكيف ينظر الله لكل منهما؟ حول هذا الموضوع الهام كتب سليمان الحكيم عدة أمثال سننطرق إليها في لقاء اليوم. فكتب في المثل الأول قائلاً: "الغني والفقير متماثلان إذ أن الرب هو صانعهما." (أمثال ٢٢: ٢) من الواضح أنه بالنسبة لله لا يوجد فرق لديه بين الغني والفقير، فكلاهما خليقته. وهو عندما أوجدهما خلقهما متساويين، فلا أحد يولد من بطن أمه غنياً أو فقيراً. لكن الأمر يعود إلى العائلة التي يولد فيها الطفل. فإذا كانت عائلته غنية نشأ غنياً، وإن كانت عائلته فقيرة شبّ فقيراً.

لعلّ السؤال الآن: كيف ينظر الله لكل منهما؟ وما هو موقفه للعلاقة التي يجب أن تسود بينهما؟ كتب سليمان الحكيم قائلاً: "نعمة المعروف خير من الذهب والفضة." (أمثال ٢٢: ١ب) و "الجواد يتمتع بالبركة لأنه يقتسم خبزه مع الفقير." (أمثال ٢٢: ٩) إن الإحسان إلى الفقير هو خير، أي أفضل من امتلاك الذهب والفضة. وإن الذي يوجد على الفقير لابد أن يباركه الله، والسبب لأنه شعر معه وأراد اقتسام الخيرات التي وهبه إياها الله معه. وهذا يؤكد لنا ضرورة الإحسان إلى الفقير ومد يد المساعدة له. فإذا كنت غنياً مستمعي ما هو موقفك من الفقير؟ هل تنظر إليه بازدراء وتتجنب التعامل معه؟ أم تراك تحاول الإحسان إليه ومد يد المساعدة له؟ لعلّ السؤال الآن: ما هو موقف الله من الغني الذي يظلم الفقير ويستغل فقره؟

أجل ما هو موقف الله من الغني الذي يظلم الفقير ويستغل فقره؟ كتب سليمان الحكيم قائلاً: "من يجور على الفقير ليثري ظلماً، ومن يهدي الغني (أي على حساب الفقير) يؤول به الأمر إلى الفاقة." (أمثال ٢٢: ١٦) هذا يؤكد أن الله عادل، وهو سيجازي الذي يظلم الفقراء ويهضم حقوقهم. لا بل إن الله لن يُسر بالشخص الذي يغدق الهدايا على الأغنياء، وهو في نفس الوقت لا يقدم المساعدة إلى الفقراء. وفي كلتي الحالتين سينتهي الأمر بهكذا أناس إلى الفاقة، أي إلى الاحتياج.

وفي مثل آخر دوتّه لنا الحكماء في سفر الأمثال نقرأ ما يلي: "لا تسلب الفقير لكونه فقيراً ولا تسحق المساكين في الباب. لأن الرب يقيم دعواهم ويسلب سألبي أنفسهم." أي يهلك ناهبيهم (أمثال ٢٢: ٢٢ و ٢٣) إن الحكماء يوجّهون النصيحة لكي لا نسلب أي لا نسرق الفقير مستغلين فقره. وأن لا نسحق أي نضطهد المسكين الذي سند له. لأن الرب سيدافع عنهم ويسترد لهم حقوقهم. وهذا يبيّن لنا موقف الله العادل تجاه الغني الذي يظلم الفقراء والمساكين.

ماذا كان موقف المسيح تجاه الأغنياء؟ تقدّم مرة شاب غني إلى المخلص المسيح، وسأله قائلاً: "أي صلاح أعمل لتكون لي الحياة الأبدية؟" ورداً على طلب المسيح منه أن يحفظ الوصايا، أجابه الشاب الغني أنه حفظها منذ حدثته، فماذا يعوزه بعد؟ أجابه المخلص المسيح: "إن أردت أن تكون كاملاً فاذهب وبع أملاكك واعط الفقراء فيكون لك كنز في السماء وتعال اتبعني. فلما سمع الشاب الكلمة مضى حزينا. لأنه كان ذا أموال كثيرة." وعندها قال المسيح لتلاميذه: "الحق أقول لكم أنه يعسر أن يدخل غني إلى ملكوت السموات. وأقول لكم أيضاً إن مرور جملٍ من ثقب ابرة أيسر من أن يدخل غني إلى ملكوت الله. فلما سمع تلاميذه بهتوا جداً قائلين: إذا من يستطيع أن يخلص؟ فنظر إليهم يسوع وقال لهم: هذا عند الناس غير مستطاع ولكن عند الله كل شيء مستطاع." (بشارة متى ١٩: ١٦، ٢١-٢٦)

أعلن المخلص المسيح موقفه وهو ضرورة أن يساعد الأغنياء الفقراء. وأيضاً أنه من الصعب على غني بسبب تعلقه بأمواله أن يدخل إلى ملكوت الله. حتى أن مرور جمل من ثقب ابرة أيسر من دخول غني إلى ملكوت الله. وكشف بذلك عن الصعوبة البالغة لدخول الغني إلى ملكوت الله. إن هذا يؤكد لنا أن الله يقف دائماً مع العدل ويتزأف على الناس الفقراء، ويطلب من الأغنياء أن ينصفوا الفقراء ويمدوا لهم يد المساعدة.

فهل لديك مستمعي إذا كنت غنياً نظرة الله الصحيحة إلى الفقراء؟ أم تجعل حب المال يستعبد حياتك ويمنعك من مساعدتهم؟ وفي هذه الحالة لن تعرف الفرح الحقيقي في حياتك، بل ستمضي حزيناً كما مضى ذلك الشاب الذي قابل المخلص المسيح. لكن الله في نفس الوقت هو مستعد أن يقبلك ويغفر ذنوبك بواسطة المخلص المسيح، إن أزلت حاجز المال وأتيت إليه من كل القلب. أما إذا كنت فقيراً فإنك ما زلت بحاجة إلى خلاص الله لكي تتال الغفران عن خطاياك والحياة الروحية الجديدة، وثم الحياة الأبدية. فهل تؤمن مستمعي سواء كنت غنياً أم فقيراً بالمخلص المسيح، وهكذا تدخل إلى ملكوت الله؟